

أثر قرينة الربط بأدوات الاستثناء في اتساق القصة القرآنية

"دراسة تطبيقية في سورتي الأنبياء والقصص"

The impact of the correlation and exception grammar tools in the cohesion of the Qur'anic story
practical Study in surat " Al Anbiyaa and Al Quisas"

أ. عادل رماش*

تاريخ الارسال: 2018-07-19 تاريخ القبول: 2018-10-03

المخلص: يعالج هذا العمل، أثر قرينة الربط بأدوات الاستثناء في اتساق القصة القرآنية، وهي دراسة تطبيقية في سورتي الأنبياء والقصص، أحاول فيه الكشف عن الروابط غير الإحالية المتمثلة في أدوات الاستثناء، وبيان دورها في ربط أوصال نصوص القصة القرآنية من خلال تحليل نماذج تطبيقية لآيات من سورتي الأنبياء والقصص.

الكلمات المفتاحية: قرينة الربط، الروابط غير الإحالية، الاتساق، أدوات الاستثناء، القصة القرآنية، سورة القصص، سورة الأنبياء.

abstract: This work is a practical study conducted on two Qur'anic Surats namely "The Prophets -Al-Anbiyà" and "The Narrative-Al-Qasas "to highlight the impact and role of deictic connectors express the exception in the way of connecting the different parts of the texts of the Qur'anic Account and this through the analysis of some practical examples from the so-called surats.

Keywords: Connector, deictic connectors, cohesion, connects expressing the exception, The Qur'anic Narrative Surah "The Prophets - Al-Anbiya "Surat" The Narrative-Al-Qasas ".

* جامعة: سطيف"2"، الجزائر، البريد الإلكتروني: adelremak34@gmail.com

تمهيد: الأدوات الداخلة على المفردات، تلك الحروف التي تربط بين "مدخولها وعناصر الجملة الأخرى"،¹ وهي حروف الجر، ويلحق بها الظروف التي تضاف إلى المفردات، و "واو" المعية وحروف العطف إذا كان المتعطفان بها من المفردات، وحروف الاستثناء، وهذه الأدوات تكمن وظيفتها الرّابطية في إحكام عناصر الجملة بعضها ببعض، ويقول الجرجاني في ذلك: «الكلم ثلاث: إسمٌ وفعلٌ وحرفٌ وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلقُ اسمٍ باسمٍ تعلقُ اسمٍ بفعلٍ، وتعلقُ حرفٍ بهما... وأما تعلقُ الحرفِ بهما ففي ثلاثة أضرب: أحدها: أن يتوسط بين الفعل والاسم فيكون ذلك في حروف الجر التي شأنها أن تعدّي الأفعال إلى ما لا تتعدى إليها بأنفسها من الأسماء.... وكذلك سبيل "الواو" الكائنة بمعنى (مع) في قولنا: لو تركت الناقةً وفصيلها لرضعها.... وكذلك حكم "الإلا" في الاستثناء... والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به: العطف وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول».²، نفهم من خلال ما أورده الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، أن الحروف التي تدخل الكلام لتعلق بعضه ببعض كتعلق الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء هي: حروف الجر، واو المعية حروف العطف و"الإلا" في الاستثناء.

مفهوم أدوات الاستثناء: أدوات الاستثناء من الحروف الداخلة على المفردات والاستثناء عند النحاة معناه الإخراج ب (إلا) أو إحدى أخواتها، لما كان داخلاً في حكم ما قبلها، حقيقةً أو تقديرًا؛ فقولنا: أكلت الطعام إلا لقمةً فلكمة (لقمة) أُخرجت بواسطة (إلا)، وقد كانت داخلةً في حكم ما قبلها، وهو (أكلت)، وهذا الدخول حقيقيٌّ لأنّ (اللقمة) جزءٌ من الطعام، ويُعدّ هذا الإخراج إخراجًا مُتصلاً أي (استثناءً مُتصلاً)، وعند قولنا: آمنَ النَّاسُ إلاّ خنزيراً، فما بعد (إلا) أُخرج من حكم ما قبلها، وهو (الإيمان)، ولولاها لكان داخلاً، وهذا الدخولُ تقديريٌّ؛ لأنّ (الخنزير) ليس من جنسِ (الناس)، وهذا ما يسمى بالاستثناء المنقطع "والحاصلُ أنه إذا كان الاستثناءُ بـ إلاّ وكانت مسبوقةً بكلامٍ تامٍّ، موجبٍ، وجبَ بمجموع هذه الشروط

الثلاثة نصبُ المستثنى، سواءً كان الاستثناء متصلاً نحو: "قام القومُ إلا زيداً" وقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ البقرة: ٢٤٩ أو منقطعاً، كقولك: "قام القومُ إلا حماراً"³، وعلى هذا فالاستثناء بحسب المستثنى إما أن يكون متصلاً أو منقطعاً، وأسلوبُ الاستثناء يتنوع بتنوع أدواته، وأشهرها: إلا، غير، سوى، عداً خلاً، "الأدواتُ التي يُستثنى بها - غيرَ إلا - ثلاثة أقسامٍ، ما يخفضُ دائماً، وما ينصبُ دائماً، وما يخفضُ تارةً وينصبُ أخرى، فأما الذي يخفضُ دائماً، فغيرَ وسوى... وما ينصبُ فقط وهو أربعة: ليسَ، ولا يكونُ، وما خلاً، وما عداً...⁴ وما يخفضُ تارةً وينصبُ أخرى، وهو ثلاثة: خلاً، وعداً، وحاشاً، وذلك لأنها تكون حروفَ جرٍّ وأفعالاً ماضيةً؛ فإن قَدَرَتها حروفاً خَفَضتْ بها المُستثنى، وإن قَدَرَتها أفعالاً، نصبتَه بها على المفعولية وقَدَرَتِ الفاعلَ مُضمراً فيها".⁵

فأدواتُ الاستثناء إذن هي: (إلا) وهي الأصلُ، (غيرَ) و(سوى) وتكونان منصوبتين على الاستثناء والاسمُ الذي يقع بعدها يُجرُّ بالإضافة، و(ليسَ) و(لا يكونُ) والمُستثنى بعدهما يُنصب على أنه خبرُهُما واسمهما مستتر فيهما وجوباً فعند قولنا: جاء الطلابُ ليسَ خالدًا، فـ (خالدًا) هنا نصب على أنه خبر لـ (ليسَ)، واسمها ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو) يعودُ على (خالدٍ) أما (ما خلاً) (ما عداً) و (ما حاشاً) على أحد الرأيين "فيجوز أن تكون حروفُ جرٍّ شبيهة بالزائد و مجرورها مجروراً لفظاً في محل نصب على الاستثناء، ويجوز أن تكون حروفُ جرٍّ أصليةً وهي مجرورة تتعلّق بالفعل قبلها، أو لا تحتاج إلى تعليق ويجوز أن تكون أفعالاً وما بعدها مفعولاً به والفاعل ضميراً مستتراً وجوباً"⁶ وتكون أفعالاً ماضية دائماً إذا سبقت بـ (ما).⁷

أثر أدوات الاستثناء في الربط: أصل الأدوات وأكثرها استعمالاً في الاستثناء (إلا)؛ لأنَّ النحاة عدّوها أصلَ الباب، وبقيّة الأدوات فروع عنها، "لأنَّ من أصولهم المقررة أنَّ الأداة إذا كثر استعمالها صارت أصلاً في بابها"⁸ وأدوات الاستثناء على

اختلافها تؤدي وظيفة الربط، بين المستثنى والمستثنى منه وفي هذا يقول ابن جني: « وقالوا أيضا: قام القومُ إلاَّ زيِّداً، ومررتُ بالناسِ إلاَّ بكِراً، فأوصلوا الفعل إلى ما بعد (إلاَّ) بتوسُّط (إلاَّ) بين الفعل وبين ما بعدها من الأسماء»⁹، ففي كلام ابن جني إشارة واضحة إلى الدور الرباطي الذي تقوم به (إلاَّ)؛ حيث إنَّها تربط ما قبلها بما بعدها، فحرف الاستثناء " يدل على علاقةٍ بين اسمين: أحدهما مُخرَج منه والثاني مُخرَج أي إنَّ العلاقة التي يعبرُ عنها الاستثناء، هي علاقة الإخراج، فإذا دخل حرف الاستثناء على ما ظاهره الجملة، فإنَّ المراد بها هو المفرد؛ لأنها إمَّا أن يتقدِّمها موصول حرفيٌّ، يُصيِّرُها إلى التأويل بالمصدرية، وإمَّا أن تكون في الأصل جملةً حاليةً ووصفية مستثناةً من حالٍ أعم؛ فالأول: نحو قولنا: ما قصرَ زيُّ إلاَّ أنْ يكلفَ بما لا يطيقُ، فالتقديرُ إلاَّ تقصيراً ملابساً لعدم الطاقة، والثاني: نحو: دخلتُ المسجدَ الحرامَ فما وجدتُ رجلاً إلاَّ يصلي أو يطوفُ، والتقدير، ما وجدتُ رجلاً إلاَّ رجلاً مُصلياً أو طائفاً .

فالوظيفة الرباطية لأداة الاستثناء (إلاَّ) هي ربط المستثنى بالمستثنى منه بعلاقة هي الإخراج، فعند قولنا: حضر الطلاب إلاَّ طالبا، فأداة الاستثناء (إلاَّ) قد ربطت المستثنى (طالبا) بالمستثنى منه (الطلاب) بعلاقة هي إخراج المستثنى (طالبا)، من المستثنى منه (الطلاب) وهي العلاقة التي أوجدتها (إلاَّ) بين المستثنى منه هي معنى ربطها بينهما¹⁰.

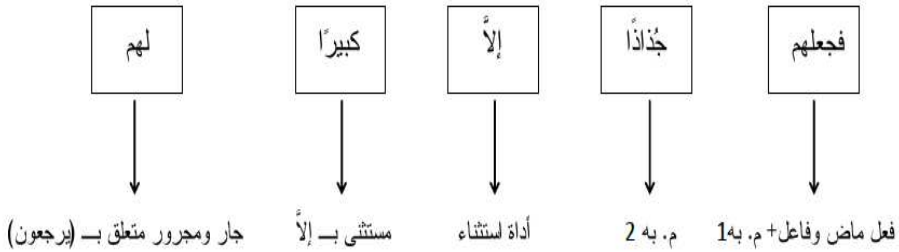
ومن أمثلة الربط بأدوات الاستثناء في مدونتها، نورد النماذج التالية:

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ

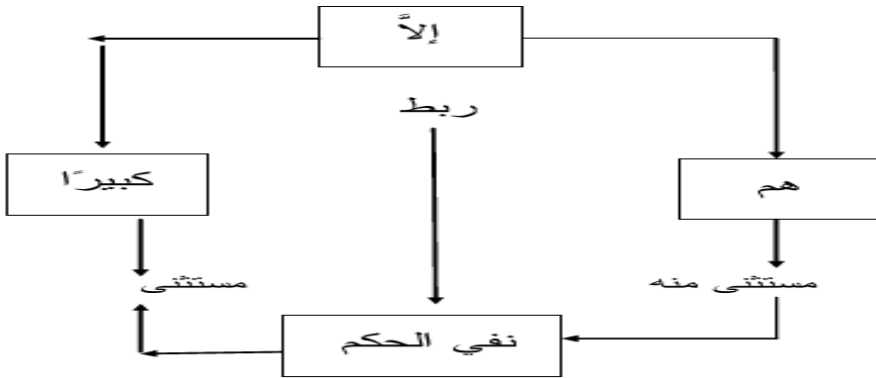
يَرْجِعُونَ ﴾ .

فالشاهد من هذه الآية الكريمة، قوله تعالى: « فجعلهم جذاذا إلاَّ كبيرا لهم » فأداة الاستثناء (إلاَّ) في هذه الآية الكريمة ربطت المستثنى منه (كبيرا لهم) بالمستثنى (الأصنام) المكّنّى عنهم بالضمير المتصل (هم) في قوله (جعلهم)، كما

دلّت الأداة (إلا) على نفي الحكم السابق على اللاحق، "وتمامُ القصة أن إبراهيم عليه السلام، لمّا دخل بيت الأصنام وجد سبعين صنما مصطفة وثمّ صنم عظيم مستقبل الباب، وكان من ذهب وكان في عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلّها بفأس في يده، حتى لم يبق إلاّ الكبير، ثم علّق الفأس في عنقه"،¹¹ فأداة الاستثناء (إلا) أسهمت وبشكل كبير، في جعل النص القرآني متسقا، مما ساعد على إيصال معنى القصة للقارئ بوضوح تام، والترسيمة التالية توضح ذلك:



فأداة الاستثناء (إلا) قامت بربط المستثنى (كبيراً)، بالمستثنى منه (هم).



فأداة الاستثناء هنا أدت وظيفتين: وظيفة ربط ما قبلها بما بعدها ووظيفة نفي الحكم السابق على اللاحق وبناءً على الوظيفة الثانية سمّاها النحاة (أدوات الاستثناء)؛ أي إنها تستثني ما بعدها من الحكم الذي أُجري على ما قبلها.

النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنكَّادَى فِي

الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ الأنبياء: ٨٧ .

الشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

ف (أَنْ): حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل، (لا): نافية للجنس تعمل عمل

(إِنْ)، إله: اسم (لا)، مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها محذوف وجوبا

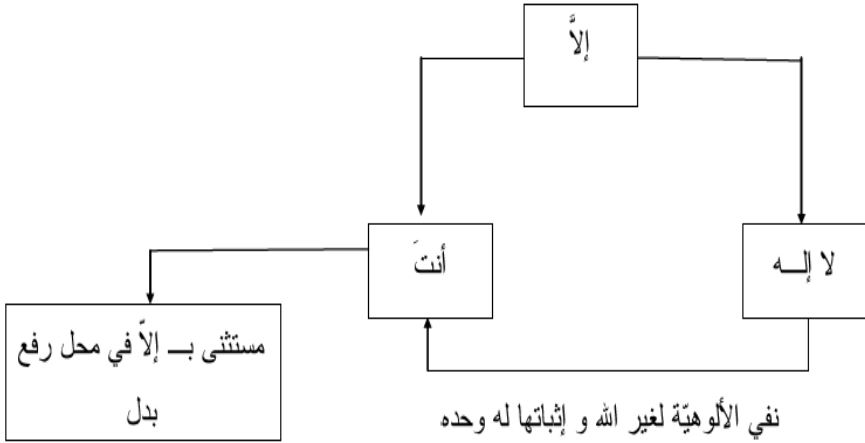
تقديره: كائن أو موجود، إلا: أداة استثناء¹² .

وأنت: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع بدل، " من موضع (لا إله)

لأنّه موضع "لا" وما عملت فيه رفع خبر (إِنْ) ولو كان موضع المستثنى نصبا

لكان إلا إياه، و (أَنْ) مع اسمها وخبرها بتأويل مصدر في محل جر، أي

بأنّه" (13).



ف (إِلَّا) هنا مع أنها أداة استثناء، قامت بربط اللاحق بالسابق، غير أنها أفادت

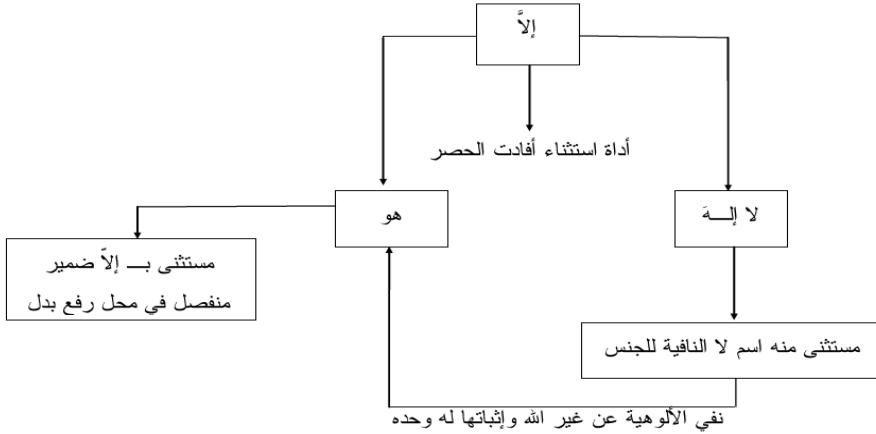
هنا الحصر وذلك بدخول (لا) على المستثنى منه، فتحولت من أداة للاستثناء إلى

أداة للحصر، فلا يوجد إله يستحق الألوهية، إلا الله سبحانه الذي عبّر عنه سيدنا

يوسف عليه السلام، بالضمير المنفصل (أنت)، فقد قامت (إِلَّا) هنا بعملية الربط

عن طريق الحصر؛ أي حصر الألوهية في الله سبحانه وتعالى وحده لا يُشاركه فيها أحد من الآلهة الأخرى المعبودة من دونه.

النموذج الثالث: ونظير ما سبق، ما جاء في قوله تعالى: «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» القصص 70.



1 فـ (إِلَّا) هنا قامت بوظيفة الربط، بين المستثنى (هو) والمستثنى منه (إله) وحصرت المستثنى في المستثنى منه، من خلال تضافرها مع (لا) النافية للجنس فلولا وجود (إِلَّا) هنا في الآية الكريمة لا ختل المعنى وتغير إلى الضد، فيتحول الحصر إلى نفي مطلقاً، وبهذا قامت (إِلَّا) بوظيفتين وظيفة الربط ووظيفة الحصر.

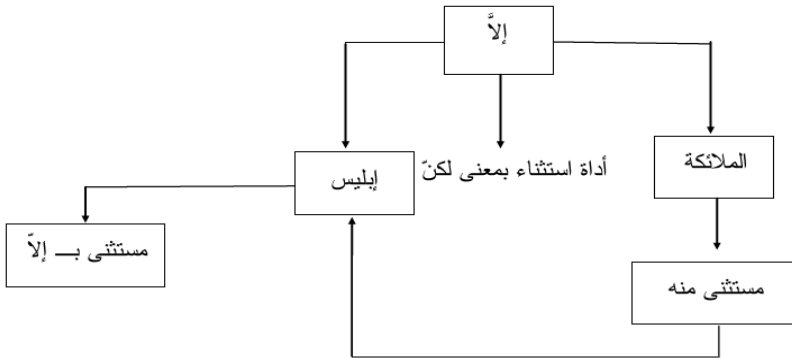
النموذج الرابع: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ القصص: ٨٦ .

الشاهد من هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ و" (إِلَّا) أداة استثناء، رحمة: مستثنى به (إِلَّا) منصوب وعلامة نصبه الفتحة ووجه الاستثناء فيه أنه محمول على المعنى؛ أي وما ألقى عليك الكتاب إِلَّا رحمةً من ربك، ويجوز أن تكون (إِلَّا) بمعنى (لكن) للاستدراك؛ أي ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك، أي

تكون "رحمة" مفعولاً لأجله منصوباً بالفتحة¹⁴ فالاستثناء هنا منقطع، والانقطاع هنا ليس معناه أن لا صلة للمستثنى بالمستثنى منه، ولا علاقة تربطهما ارتباطاً معنوياً، وإنما معناه انقطاع صلة البعضية بينهما؛ وذلك بالأبداً يكون المستثنى جزءاً حقيقياً من المستثنى منه ولا فرداً من أفرادها، بينما الاتصال المعنوي بينهما قائم بواسطة الأداة (إلا) التي أدت وظيفة حرف الاستدراك (لكن)، وبهما يتم الوصل الاستدراكي أو العكسي، وهو من أدوات الاتساق النصي.

ونظيره ما نجده في سورة الكهف، حيث يقول عزّ من قائل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ الكهف: ٥٠ .

ففي هذه الآية الكريمة نجد أن (إلا) قامت بوظيفة الربط، بين المستثنى (إبليس) والمستثنى منه (الملائكة)، مع أن (إبليس) ليس من جنس الملائكة، لذا يطلق على هذا النوع من الاستثناء بالاستثناء المنقطع¹⁵، لأن الأداة (إلا) تؤدي معنى الحرف (لكن)، الذي يفيد الاستدراك. 20 والاستدراك هو الأقدر على أداء وظيفة الوصل العكسي، أو الوصل النقيض؛ حيث تكون العلاقة بين الأشياء متنافرة أو متعارضة في عالم النص.



استثناء منقطع؛ فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه

فأداة الاستثناء (إلا) قامت مقام جملة (أستثنى)، وبذلك فقد أدت إلى جانب الربط، وظيفة الاختصار كغيرها من حروف المعاني، وذلك "أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هي أيضا، واختصار المختصر إجحاف به."¹⁶، و يضيف ابن جني قائلا: "وتفسير قوله: إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، هو أنك إذا قلت: ما قام زيدٌ فقد أغنت (ما) عن (أنفي)، وهي جملة فعل وفاعل، وإذا قلت: قام القومُ إلا زيدا، فقد نابت (إلا) عن (أستثنى) وهي جملة فعل وفاعل"،¹⁷ فأداة الاستثناء (إلا) أدت ونابت عن جملة (أستثنى)، فقامت بوظيفة الاختصار إلى جانب وظيفتها الرباطية من خلال ربط المستثنى بالمستثنى منه.

خلاصة: ويتضح لنا مما سبق بيانه، حول الربط بأدوات الاستثناء دورها الرباطي، من خلال تحقيق الاتساق النصي، في القصة القرآنية، فهي تعمل على إحكام الترابط بين المستثنى و المستثنى منه، مما يجعل النص محكم البناء، وحرف الاستثناء من الروابط المختصة بالمفردات، شأنه شأن حروف الجرّ، و"واو" المعية هاته الأخيرة التي تتوسط المترابطين، غير أنّ المستثنى منه قد يتقدم على الأداة - وهو الأصل- وقد يتأخر عن الأداة والمستثنى.

الهوامش والإحالات:

- (1) - تمام حسان، البسان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993، ص 131.
- (2) - الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992، تحقق م شاكراً، ص 4 وما بعدها.
- (3) - ابن هشام الأَنْصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح، محمد الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط2، 1997، ص 272-273.
- (4) - لم يذكر المؤلف (ما حاشاً) في هذا الموضوع وذكرها في النوع الثالث، بدون ما، وذلك مبني على ما ذهب إليه جماعة من العلماء أن "ما" لم تثبت عن العرب إدخالها على "حاشاً"، ينظر: حاشية شرح قطر الندى وبل الصدى، ص 277.
- (5) - ابن هشام، شرح قطر الندى، ص 276-278.
- (6) - عزيز خليل محمود، المفصل في النحو والإعراب، دار نو ميديا للنشر والتوزيع، دار البعث للطباعة، قسنطينة، ط1، 1987، ج3، ص 50.
- (7) - تعرب ما في هذه الحالة: مصدرية، والمصدر المؤول (ما+ الفعل) في محل نصب حال والجملة صلة الموصول الحر في لا محل لها من الإعراب، ينظر: محمد خير حلواني، المعنى الجديد في النحو، دار الشرق العربي، سوريا، طبعة جديدة، 2003، ص 216.
- (8) - حسن خميس الملح، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، دار الشروق، الأردن، ط1 2001، ص 75.
- (9) - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1، ص 126.
- (10) - حسين رفعت حسين، الموقعية في النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2005، ص 196.
- (11) - الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1981، ج 22، ص 182.
- (12) - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ج7، ص 203.
- (13) - المرجع نفسه، ص 203-204.
- (14) - بهجت عبد الواحد صالح: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر، ط1، 1993، ج8 ص 461-462.
- (15) - ينظر: ابن هشام، شرح قاصر الندى، حاشية الصفحة، 273-274.
- (16) - ابن جني: الخصائص، تح عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2002، ج2، ص 181.
- (17) - ابن جني، المصدر نفسه ج2، ص 181.